غزه (فلسطين) فؤاد افندي دهده فرح

زنوبيا والزباء

س ـ يقول بعض المؤرخين ان زنوبيا أو الزباء هما اسمان لامرأة واحدة والبعض الآخر يقول انه توجد امرأتان : الواحدة زنوبيا والاخرى الزباء فهل يمكن أن تعرفونا حقيقة هذه المسألة وتفيدونا عن تاريخ هذه المرأة أو هاتين المرأتين باسهاب

ج ـ ان الزباء غير زنوبيا فهما امرأتان تختلف الواحدة عن الاخرى واليك تاريخهما

الزباء

اسمها نائلة بنت عمرو ابن الظرب بن حسان بن أذينة العمليقي ملك الجزيرة ومشارف الشام، كان جذيمة الابرش قد قتل أباها فملكت هي بعده ونهضت للأخذ بثأره من جذيمة . قيل وكانت مملكتها من الفرات الى تدمر وجنودها بقايا العمالقة وغيرهم فلما استجمع لها الامر واستحكم ملكها تأهبت لغزو جذيمة فقالت لها أختها زبيبة وكانت عاقلة ان غزوت جذيمة فانما هو يوم له مابعده والحرب سجال ثم أشارت عليها بترك الحرب وأعمال الحيلة فأجابتها الى ذلك وكتبت الى جذيمة تدعوه الى نفسها وملكها وقالت له : ان ملك النساء قبيح في السماع وضعف في السلطان وانها لم تجد لملكها ونفسها كفؤاً غيره . فلما وصله الكتاب وهو ببقة من شاطيء الفرات

استدعى خواصه واستشارهم في الامر فأجمع رأيهم على أن يسير اليها ويستولي على ملكها ويتزوجها . وكان فيهم رجل يقال له قصير بن سعده من قبيلة لخم وهو ابن جارية لجذيمة كان أبوه تزوجها وكان أديباً حازماً ناصحاً لجذيمة مقرباً اليه فخالفهم فيما أشاروا به وقال رأي فاتر وعدو حاضر وقال لجذيمة اكتب لها ان كانت صادقة فلتقبل اليك والا فلا تمكنها من نفسك وقد وترتها وقتلت أباها فقال جذيمة « رأيك في الكن لا في الضح » أي في البيت لا في الخارج ثم دعا بابن أخته عمرو بن عدي واستشاره فشجعه على المسير وقال انما تمارة قومي مع الزباء فاذا رأوك صاروا معك فأطاعه فقال قصير « لا يطاع لقصير أمر » . ثم ان جذيمة استخلف على الملك عمرو بن عدي وعلى خيوله عمرو بن عبد الجن وسار في وجوه أصحابه ومعهم قصير . فلما أبعدوا قليلا قال لقصير ما الرأي ؟ قال : « بيقة تركت الرأي » ثم استقبله رسل الزباء بالهدايا والالطاف . فقال ياقصير كيف نرى ؟ قال خطر يسير وخطب كبير » وستلقاك بالخيول فان سارت أمامك فان المرأة صادقة وان أخذت جنبيك وأحاطت بك فان القوم غادرون فاركب العصا فاني راكبها ومسايرك عليها (والعصا فرس كانت لجذيمة لا تجاريها الخيل) فلما تقيته الكتائب حالت بينه وبين العصا فركبها قصير ونظر اليه جذيمة مولياً على متنها فقال

ويل امه حزماً على متن العصا ماضل من تجري اليه العصا

والما وصلوا به أدخلوه على الزباء فأجلسته على بطع . وأمرت بطست من ذهب وسقته الخمرة بكثرة ثم أمرت براهشيه فقطعا وقدمت اليه الطست وقد قيل لها ان قطر من دمه شيء في غير الطست طلب بدمه . وكانت الملوك لا تقتل بضرب الرقبة تكرمة للملك . فلما ضعفت يداه سقطت فقطر من دمه خارج الطست فقالت لا تضيعوا دم الملك . فقال جذيمة دعوا دماً ضيعه أهله . ثم هلك جذيمة على هذه الحال . وأما قصير فكانت العصا قد جرت به الى غروب الشمس وقد قطعت أرضاً بعيدة فسقطت به ميتة فدفنها وبنى عليها بناء وسار حتى دخل على عمرو بن عدي وقال تهيأ ولا تطل دم خالك . فقال كيف لي بها وهي أمنع من عقاب الجو . وكانت الزباء قد سألت كهنتها عن أمرها وكيفية موتها فقالوا لها نرى قتلك يكون على يد عمرو بن عدي فحذرت عمراً من ذلك اليوم واتخذت لنفسها سرباً من مجلسها الى حصن لها داخل مدينتها حتى اذا فاجأها

أمر دخلت السرب ومضت الى الحصن . ثم دعت برجل مصور حاذق في صناعته وأرسلته الى عمرو بن عدي متنكراً وقالت صوره قائماً وجالساً ومنفصلا ومتنكراً ومسلحاً بهيئته وألوانه التامة وذلك حتى اذا رأته في أية حالة كانت فيها تعرفه ففعل المصور ما أمرته به وأتى اليها بالصور وأما قصير فقال لعمرو اجدع أنفي واضرب ظهري ودعني وإياها ففعل به عمرو ذلك وخرج قصير حتى قدم على الزباء فأدخل عليها فلما رأته أجدع قالت « لأمر ما جدع قصير أنفه . ثم قالت ما الذي أراد بك يا قصير . قال زعم عمرو اني غدرت بخاله . وزينت له المسير اليك ومالأتك عليه ففعل بي ماترين فأقبلت اليك وقد عرفت أني لا أكون مع أحد هو أثقل عليه منك فاكرمته ورأت ما أعجبها من حزمه وحذقه ودرايته ومعرفته بأمور الملك فلما عرف أنها قد وثقت به قال ان لي بالعراق أموراً كثيرة ولي بها طرائف وعطر فابعثني لأحمل مالي وأحمل اليك من طرائفها وصنوف ما يكون بها من التجارة فتصيبين أرباحاً وبعض ما لا يكون غناء للملوك عنه فسرحته ودفعت اليه أموالا وجهزت معه الدواب فسار حتى قدم العراق وأتى عمرو بن عدي متخفياً وأخبره الخبر وقال جهزني بالبز والطرف لعل الله يمكننا من الزباء فنصيب منها ثأرك فأعطاه ماطلب وعاد به الى الزباء فأعجبها كثيراً وزادت بقصير ثقتها ثم جهزت بعد ذلك بأكثر مما جهزت في المرة الأولى فسار الى العراق ولم يدع طرفة الا قدم بها عليها حتى تعجبت منه ثم عاد الثالثة وقال لعمرو اجمع لي ثقات أصحابك وجندك وهيء لهم الغرائر (وهي كالصناديق كان هو أول من اخترعها) فلما تهيأت جعل كل رجلين في غرارتين على ظهر بعير وجعل معقد رؤوسهما من باطنهما وقال لعمرو اذا وصلنا أفتك على باب السرب ثم أخرجت الرجال من الغرائر فصاحوا بأهل المدينة فمن قاتلهم قاتلوه وان أقبلت هي الى سربها قتلتها أنت . فلما تم ذلك صار قصير مجداً حتى اذا قرب سبق اليها وبشرها بكثرة ما حمل اليها من المال والتحف والثياب وكان يسير في الليل ويكمن في النهار لراحة القوم . فاشرفت الزباء من قصرها وأبصرت الابل مثقلة بالأحمال تسير الهوينا وتكاد قوائمها تسوخ في الارض فقالت يا قصير

ما للجمال مشيها وئيداً أجندلا يحملن أم حديداً

أم صرفاناً بارداً شديداً أم الرجال جمّا تمـوداً

ثم دخلت الابل المدينة فلما توسطتها أنيخت وخرج الرجال من الغرائر ودل عمرو على باب السرب ثم وضعوا السيف في أهل البلد وأقبلت الزباء تريد الخروج من السرب فلما ابصرت عمرو عرفته بالصورة فحصت سما كان بخاتمها وقالت بيدي لابيد عمرو وتلقاها عمرو بالسيف فقتلها وأصاب ما أصاب من المدينة ثم عاد الى العراق وجلس على سرير الملك بعد خاله جذيمة

زينوبيا

ملكة تدمر الشهيرة ولدت لأمير عربي من بلاد مابين النهرين قيل وكانت من ذرية كليوباطرة ملكة مصر وهي أرملة لأذوناتوس سبتيميدس ملك تدمر ورافقته في غزواته في بلاد فارس وحروبه لسابور ذي الاكتاف وسنة ٢٦٦ قتل زوجها وكان قاتله ابن أخته مايونيوس فقتلته وتولت تخت الملك وولیت خمس سنوات تدمر وسوريا وما وليها واستقلت عن الرومان وحاربتهم بشجاعة عظيمة . امتد حكمها من الفرات الى بحر الروم ومن صحراء العرب الى آسيا الصغرى وطردت الرومان واستولت على مصر مدة وحاربها غاليانوس قيصر فرجع خائبا ولكن اورليانوس بعده انتصر عليها وحصرها في تدمر ولما ضاقت بها المسالك انهزمت فتأثرها وأسرها وأخذها الى رومية ثم عين لها تيبور « تيفولي » مسكنا فظلت بها الى أن ماتت . أما بناتها فزوجن لنبلاء الرومان وكانت زينوبيا بديعة الجمال مفرطة الذكاء واسعة الاطلاع كثيرة المعارف تكلمت اليونانية واللاتينية والسريانية والقبطية وكتبت تاريخا للشرق وكانت محبة للقنص وصيد الوحوش الضارية ولم تفتها امرأة عفة وتصونا . وفي لبنان آثار عديدة تنسب اليها منها اقنية الماء من نهر ابراهيم الى جبيل ومن نهر قدیشا الى كورة طرابلس ومن نهر بيروت الى بيروت ووضع المرحوم سليم البستاني رواية باسم زنوبيا وطبعت في مجلة الجنان سنة ١٨٧١ وبها تفاصيل تاريخية .

وقد تأخر لدينا بعض الاسئلة منعنا ضيق المقام عن الاجابة عليها وموعدنا بها العدد القادم ان شاء الله